آفاق كتابة تاريخ الموت بالمغرب الأقصى الوسيط

رابحي رضوان

جامعة ابن طفيل– القنيطرة، المغرب

ملخص

رغم التطور الكمي والنوعي للأبحاث في مجالات "التاريخ الجديد" بالمغرب، إلا أنها تسير بوتيرة بطيئة، إذ إن بعض المواضيع ما زالت تحتفظ بعذريتها، أو حظيت ببعض الاهتمام في أحسن الأحوال؛ وفي مقدمها تلك المرتبطة بالموت وما بعد الموت، والصلات الرمزية بين الأحياء والأموات في تمثّل المغاربة. وفي هذا السياق، حاولنا من خلال هذه المقالة جرد أهم الدراسات التي عالجت موضوع الموت في المغرب خلال العصر الوسيط، مُقارِنين بينه وبين مجالات مجاورة خاصة الفضاء الأوروبي، مع التركيز على أبرز القضايا التي أثارها الموت وتصورات المصير بعده. واختتمنا عملنا بتسليط الضوء على الإمكانيات التي توفرها المصادر المغربية الوسيطية لكتابة تاريخ الموت.

كلمات مفتاحية: تاريخ الموت، التاريخ الجديد، المغرب، العصر الوسيط.

Conclusion

Horizon d’écriture de l’histoire de la mort au Maroc au moyen age

Malgré l’évolution quantitative et qualitative des recherches dans les domaines de la «nouvelle histoire » au Maroc, mais nous constatons qu’ils vent à un rythme lent de sorte que certains sujets gardent encore leur virginité, ou ont reçu une certaine attention, dans les meilleurs circonstances, et en particulier ceux qui est associés à la mort et après la mort, et les liens symboliques entre les vivants et les morts dans les représentations des Marocains. Dans ce contexte, nous avons essayé à travers cet article d’inventer les études les plus importantes qui ont abordé ce sujet de la mort au Maroc durant le Moyen Age, et en les comparant avec l'espace européen en se concentrant sur les principales questions posées par la mort. Nous avons conclu notre travail par les avantages qu’ils nous offrent les sources marocaines médiévistes pour reconstruire l’histoire de la mort.

Mots clés : nouvelle histoire, histoire de la mort, Maroc, Moyen Age.

مقدمة

أسهمت الثورة التي عرفها علم التاريخ منذ بداية القرن الماضي في توجيه البحث التاريخي إلى عدد من المواضيع الجديدة، حيث استطاع المؤرخون اقتحام مجالاتٍ كانت إلى عهد قريب حِكرا على تخصصات معرفية أخرى، ومن ثم غَدَتْ قضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات أو العقليات في صلب اهتمامات البحث التاريخي. وقد شكل موضوع الموت إحدى التيمات التي استأثرت باهتمام الباحثين والمؤرخين منذ أواخر القرن الماضي.

كان الموت موضِع تأملٍ منذ القدم، إذ تفاعل معه الإنسان بإنتاج طقوس وممارسات عكسَت مستوى فهمِه وتصورِه له. وحاولت الأساطير والأديان والفلسفات القديمة والحديثة أن تُجيب عن بعض الأسئلة التي أثارها الموضوع. وقد حقّق أقصى درجات الاهتمام من لدن الفلاسفة خلال القرن الماضي مع أقطاب المدرسة الوجودية خاصة[1]. وكان لابد من انتظار النصف الثاني من القرن العشرين ليتحرر من "إمبريالية الفلسفة"[2]، ويُصبح نقطة تقاطع والتقاء عددٍ من التخصصات؛ أدبية وفلسفية ونفسية، وموضوعَ بحثٍ ودراسة في حقول علم الاجتماع[3] والأنتروبولوجيا والتاريخ[4]، فظهَر ما أُطلق عليه "الموت في التاريخ" أو " تاريخ الموت" كأحد الإنجازات الكبرى في حقل تاريخ العقليات والتصورات[5]، وأحد أبرز علامات التعاون والتلاقح بين العلوم الإنسانية والاجتماعية المختلفة.

1 - من أهم الفلاسفة "الوجوديين" الذين اهتموا بموضوع الموت: جون بول سارتر

SARTRE Jean poul, l'Etre et le Néant, essai d’ontologie phénoménologique, Gallimard, 1943

وهايدجر:

CRISTIAN Ciocan , Heidegger et le problème de la mort ; existentialité, authenticité, temporalité, Springer Science and Business Media LLC , 2014

للمزيد من الإطلاع يمكن العودة إلى: شورون جاك، الموت في الفكر الغربي، ترجمة، كامل يوسف حسين، منشورات عالم الفكر، ع. 76، الكويت، 1984؛ مبروك أمل، فلسفة الموت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط. 1، بيروت، 2010

2- يشوتي محمد، "خطاب الموت"، مجلة علامات، ع. 15، مكناس، 2001، ص. 59.

3 - الهلالي محمد ياسر، "موت الولي في كتب المناقب بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط (من ق6هـــ/12م إلى القرن 9هـــ /15م"، مجلة المناهل، السنة 32، ع. 31-32، منشورات وزارة الثقافة المغربية، أبريل 2012، مطبعة دار المناهل، الرباط، ص. 393؛ من بين الدراسات التي جمعت أكثر من منهج من مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية في دراسة الموضوع: لويس – فانسان توماس، الموت، ترجمة مروان بطش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط. 1، بيروت، 2012.

4 - يشوتي محمد، م. س، 2001 ص. 59

5 - ريكور بول، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة، جورج زيناتي، ط. 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009، ص. 537

أولا: اسطغرافيا الموت في الفضاء الأوروبي

حقّق البحث في موضوع الموت والعالم الأخروي والظواهر المصاحبة لهما في العالم القديم تراكما مهما، حيث عالجت بعض الدراسات[6] عددا من القضايا التي يثيرها، مستفيدة من ثراء المادة المصدرية الكتابية، ووفرة الشواهد الجنائزية والمسكوكات في مصر القديمة وبلاد الرافدين والعالم الروماني خاصة.

وبدأ اهتمام المؤرخين الأوروبيين المعاصرين بتاريخ الموت في أوروبا الوسيطية مبكرا، من خلال عمل الهولندي "هويزينغا جوهان" HUIZINGA Johan " خريف العصر الوسيط " الصادر سنة 1919م[7]. غير أن الموضوع بقي، مع ذلك، قليل الحضور، فكان لابد من انتظار النصف الثاني من القرن العشرين ليحظى بعناية أكبر من لدن المؤرخين، عبر عدد من الدراسات في مقدمتها أعمال "فيليب أرياس" ARIES Philippe[8]، و"ميشيل فوفيل" VOVELLE Micheal[9]، و"ديرانغورت جون بيير" DEREGNAUCOURT Jean-Pierre [10] التي تعتبر، إلى جانب عمل HUIZINGA، أعمالا مؤسِّسَة فتحت المجال لدراسات لاحقة شملت عوالم جغرافية متنوعة.

كما أُنجِزت أبحاث ودراسات تاريخية حول بعض الظواهر المرتبطة بالموت في أوروبا خلال العصور الوسطى، مِثل الدراسة التي أنجزها "جان كلود شميت" Jean-claude SCHMITT حول الموتى العائدين والعلاقات بين الأحياء والأموات

---

[6] - نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

HINARD François, **la mort les morts et l'au-delà dans le monde romain**, Presses universitaires de Caen, 1987 /POMMARET Françoise, **Les Revenants de l'au-delà dans le monde tibétain**; sources littéraires et tradition vivante, paris, 1998

MAINVILLE Odette ; DANIEL Marguerat, **Résurrection : L'après-mort dans le monde ancien et le Nouveau Testament**, édition Labor et Fides , Médiaspaul (Canada), 2001

حنون نائل، **عقائد ما بعد الموت في حضـارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، دار الشـؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، 1986؛ وَبارجيه بول، **كتاب الموتى للمصريين القدامى**، ترجمـــة النص الفرنسي إلى اللغة العربية، زكيّة كبوزادة، ط. 1، القاهرة، 2004؛ وإلياذ مرسيا، **أسطورة العود الأبدي**، ترجمه عن الفرنسية، نهاد خياطة، ط. 1، دمشق، 1987؛ وتجدر الإشارة إلى إحدى الدراسات التي حاولت مراقبة تطور الموقف من الموت في الفكر الغربي عبر التاريخ أنجزها باحث أمريكي: شورون جاك، **الموت في الفكر الغربي**، م. س.

[7] - نُشر هذا الكتاب لأول مرة باللغة الهولندية سنة 1919، وتُرجم إلى الفرنسية في عدة طبعات آخرها طبعة 2002 بتقديم جاك لوغوف HUIZINGA Johan, **l'automne du moyen âge** , traduction française, éditions Payot, Paris , 2002

[8]- ARIES Philippe, **Essais sur l'histoire de la mort en Occident:** Du Moyen Âge à nos jours, Éditions du seuil, Paris, 1977 ; et ARIES Philippe ,**L'homme devant la mort, Éditions du seuil**, Paris, 1977

[9]- VOVELLE Micheal, **La mort et l'Occident de 1300 à nos jours**, Paris, 1982 ; et VOVELLE Micheal "Sur la mort", in ***Idéologies et mentalités***, Paris, 1985

[10]- DEREGNAUCOURT Jean-Pierre, **La mort au Moyen Age**, Éditions G. P. Gisserot, Paris, 2004

بأوروبا11، وَالكتاب الذي عالج فيه "كلود لوكوتو" Claude LECOUTEUX ظاهرة الأشباح والعائدين بعد الموت12، إضافة إلى عدد من المقالات التي درست الصّلات بين الأحياء والأموات في بعض المجتمعات الأوروبية13.

شكّلت هذه الأبحاث والدراسات نقطة انعطاف في مسار الكتابة التاريخية في موضوع الموت، وانطلق عددٌ من الباحثين يُنجزون على منوالها دراسات مشابهة في مناطق أخرى غير أوروبا، خصوصا بعد انتباههم إلى الإمكانيات التي تُوفرها الآثار الجنائزية المادية، والنصوص الأدبية، على ندرتها، والتراث الشفوي، والطقوس الجماعية. ومن ثم استفاد المجال الإفريقي من أبحاث ودراسات أماطت اللّثام عن بعض جوانب الموت من خلال دراسة طقوسه والأساطير المؤسسة له14.

غير أن عددا من هذه الأعمال؛ وهي في الأصل ثمار فروع معرفية مجاورة للتاريخ خاصة الأنتروبولوجيا، عمدت إلى مقارنة المعتقدات والطقوس المرتبطة بالموت في إفريقيا مع أوروبا، متجنبة الغوص في الأصول والروافد الثقافية والأساطير المحلية المُسهِمة في تشكيل الصورة التي يظهر عليها الموت في إفريقيا بتعبير أحد الباحثين15. كما بدا لغيره أن جلّها اكتفى بتقليد الكتابات التي اهتمت بالموضوع في مجال أوربا، والبحث عن أوجه التشابه والاختلاف مع المجال الأوروربي، متجاوزة الفُروق والتمايزات الثقافية والحضارية بين هذه العوالم، و"هكذا لم تقتصر المركزية الأوروبية على الأوروبيين أو على من هم في المركز

[11]- SCHMITT Jean-claude, **Les revenants; les vivants et les morts dans la société médiévale**, éditions Gallimard,1994،

[12]- LECOUTEUX Claude, **Fantômes et revenants au Moyen-Age**, Editions Imago, Paris, 1986

[13] -KIENING Christian, "le double décomposé. Rencontres des vivants et des morts à la fin du moyen âge", ***A.H.S.S, sep.-oct. , 1995***, pp. 1157-1190 ; et CASARD Jean Christophe, "La mort et les hommes en Bretagne au haut Moyen Age", ***In: Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest***. Tome 95, numéro 2, 1988. pp. 141-164

وعدد خاص من مجلة ***Etudes rurales*** العدد المشترك 105 – 106 الصادر سنة 1987 احتوى مقالات حول الموت وما بعد الموت وعودة الموتى في أوروبا. ومن الأعمال الجديدة في الموضوع نذكر:

ALEXANDRE-BIDON Danièle; TREFFORT Cécile, **À réveiller les morts, La mort au quotidien dans l'Occident médiéval**, Presses universitaires de Lyon, 1993 ; et TREFFORT Cécile, **L'Église carolingienne et la mort, Christianisme, rites funéraires et pratiques commémoratives** , Presses Universitaires Lyon, 1996

[14] -RENE bureau, "la mort et les morts et les ancêtres dans les sociétés africaines", ***Studia missionalia***, V. 31, 1982, p p. 211 – 223 ; et Thomas Louis-Vincent, "La mort africaine; Idéologie funéraire en Afrique Noire", ***Revue française de sociologie***, Année 1983 V. 24, N. 24-4 pp. 746-748 ; et ESCHLIMANN J. P**., Les agné devant la mort** (Côte d'Ivoire), Paris, Editions Karthala, 1985 ; et PRADELLES DE LATOUR Charles-Henry," Les morts et leurs rites en Afrique", ***A. H. S. S. Année***, 1996, V. 36 lien N. 138, pp. 137-142 ; et L.-V. Thomas, " Les rituels funéraires ", ***Bulletin de la société de thanatologie***, p-p. 60-61 (décembre 1984), THOMAS Louis Vincent, Les Chairs de la mort. Corps, mort, Afrique, Sanofi-Synthélabo , Paris, 2000 ; et OWUSU-SARPONG C**., La mort Akan: étude ethno-sémiotique des textes funéraires,** Akan, Paris, l'Harmattan, 2000 ; et KOUAKOU Kouassi, " La mort en Afrique : entre tradition et modernité"***, Études sur la mort*** , n. 128. 2005, p. 145-149 ; et YORO Blé Marcel , "La violence dans les rites funéraires en milieu rural bete .Côte d'Ivoire***". European Scientific Journal August edition***; vol. 8, No.18. pp. 118-128 ; et KOUASSI K., "Mort réelle-Mort symbolique: rituels de veuvage en pays Baoulé, Côte d'Ivoire", ***VST, 1989, N. 9***, pp. 32-34. ؛ وبيير أولي، **أسـاطير الخلق الإفريقية؛ الموت والحياة**، ترجمة، ميسلون هادي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2014

[15]- يشوتي محمد، **خطاب الموت**، م. س، ص. 40؛ ونستثني مقال بيير أولي، **أساطير الخلق الإفريقية**، م. س

الغربي، بل شملت حتى الذين هم في الأطراف"16. بالإضافة إلى أن هذه الدراسات اكتفت بمقاربة الموضوع في مناطق محددة، خاصة إفريقيا الغربية، حيث تتميز المصادر الكتابية والمادية بالغنى والوفرة مقارنة مع مناطق أخرى.

ثانيا: البحث التاريخي المغربي وموضوع الموت

رغم التطور الكمي والنوعي للأبحاث في مجالات "التاريخ الجديد" بالمغرب، إلا أنها تسير بوتيرة بطيئة، إذ إن بعض المواضيع ما زالت تحتفظ بعذريتها، أو حظيت ببعض الاهتمام في أحسن الأحوال، وعلى رأسها تلك المرتبطة بالموت وما بعد الموت، والعلاقات بين الأحياء والأموات في تمثّل المغاربة. وللباحث أن يتساءل عن أسباب ندرة الدراسات التاريخية في هذا الموضوع، أهو الخوف من الموت نفسه، أم الخوف من المغامرة في موضوع تُتّهم فيه المصادر عادة بالندرة؟

حاز موضوع الموت في المغرب القديم على بعض الاهتمام من خلال دراسات وإسهامات كشفت عن جوانب مهمة من طقوسه وتمثلاته عند "مغاربة" ما قبل الإسلام، وكانت البداية بأقلام أوروبية من خلال بعض الفقرات المبثوثة ضمن دراسات تناولت تاريخ المنطقة بشكل عام17، قبل أن يلتفت الباحثون المغاربة للموضوع بعد الاستقلال18، واعتمدت بعض هذه الأبحاث على مصادر متنوعة في مقدمها الآثار الجنائزية والتراث الشفوي والنقائش اللاتينية19.

وكان الباحثون الأوروبيون، وتحديدا الفرنسيون، سباقين إلى اقتحام الموضوع من خلال أبحاث عن الموت في المغرب خلال العصر الوسيط، اقتصرت على دراسة الشواهد الجنائزية، كما هو الحال في العمل الذي أشرف على إنجازه الباحثان "بوريلي" JOSEPH Bourrilly و"لاوست" EMILE Laoust حول بعض مقابر المغرب الأقصى في العصر الوسيط20. والدراسة التي أنجزها "ليفي بروفنسال" Levi- PROVENÇAL وَ"هنري باسي" BASSET Henri

[16]- الهاشمي محمود منقذ، مقدمة الترجمة العربية لكتاب: **الوجيز في الموت**، دوغلاس ديفيس، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، 2014، ص. 16

[17] - نذكر من بينها: شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ج. 1، تعريب، مزالي محمد، البشير سلامة، طبعة مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011، ص-ص 65- 67؛ وغابرييل غامبس، **البربر: ذاكرة وهوية**، ترجمة محمد حزل، ط. 1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014؛ واصتيفان اكصيل، **تاريخ شمال إفريقيا القديم**، ج. 6، الممالك الأهلية حياتها المادية والفكرية والروحية، ترجمه إلى العربية، محمد التازي سعود، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص-ص. 149-254.

[18]- نذكر منها: أعشي مصطفى، "القبور في المغرب القديم"، ج. 19، إشراف، محمد حجي، مطابع سلا، 2004، ص ص. 6601 – 6603؛ والجطاري بلقاسم، "الطقوس الجنائزية في التراث الامازيغي"، في، **حفريات مغربية**، ع 1، 2001، ص ص. 45 – 57؛ وأوسوس محمد، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، CHRISTINE Hamdoun et autres, Vie, mort et poésie dans l'Afrique Romaine d'après un choix de Carmina / 2007 Latina Epigraphique, editions. Lotomus, Bruxelles, 2011. ؛ ومجموعة من المؤلفين، **تاريخ المغرب، تحيين وتركيب**، إشراف وتقديم، القبلي محمد، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، ط. 1، الرباط، 2011، ص- ص. 111- 114؛ وحظي الموضوع بدراسة مستقلة من خلال عمل الباحث الجزائري: بن عبد المومن محمد، **الموت والعالم الآخر عند سكان بلاد المغرب القديم** ، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان، 2014

في **معلمة المغرب** (sic)

[19] - من بين المقالات النادرة في هذا الصـدد: بل الفايدة عبد العزيز،" صـورة الموت من خلال النقائش اللاتينية"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الانسـانية، القنيطرة** ، ع. 8، السـنة، 2008، ص- ص.7 – 16

[20]- BOURRILLY Joseph ; LAOUST Emile **, stèles funéraires marocaines** , Collection Hesperis , institut des hautes études marocaines , n. 3. A. 1927, librairie larose , Paris , 1927.

21، في حين حاول آخرون البحث عن معنى الموت وصورته عند شرائح محددة من المجتمع المغربي، خاصة المتصوفة والفقهاء المالكيين22.

سارت المساهمات المغربية في الاتجاه نفسه، فعالجت بعض المقالاتِ الموضوعَ من جوانب محددة؛ من خلال كتب المناقب كما هو الشأن في دراسة "موت الولي في كتب المناقب"23 لمحمد ياسر الهلالي، أو عبر استنطاق ما تزخر به بعض كتب النوازل مثلما هو الحال في بحث محمد مزين "الموت في مغرب القرن العاشر من خلال كتاب الجواهر المختارة"24. أو عبر محاولة رصد التقاليد الجنائزية خلال فترات معينة، كما هو الحال عند القادري بوتشيش الذي خصص بضع صفحات لموضوع الموت خلال العصر المرابطي25، أو عند أحمد المحمودي الذي عرج عرَضا في بضع فقراتٍ على بعض مظاهر الموت وتوظيفاته خلال العصر الموحدي26، أو عند حميد تيتاو الذي وقف على بعض مظاهر القتل الجماعي وانعكاساته الديمغرافية بالمغرب خلال العصر المريني27.

وتبقى الدراسة التي أنجزها محمد حقي "الموقف من الموت والمرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط"28، والتي استقصى فيها عشرات المصادر المغربية والأندلسية مطبوعة ومخطوطة، أهم وأشمل هذه الدراسات، وقد حاول فيها البحث عن تمثل الموت في ذهنية مغاربة وأندلسيي العصر الوسيط باختلاف انتماءاتهم الاجتماعية، معتمدا على ما تزخر به النصوص الأدبية وكتب الأمثال، وعبر مراقبة دقيقة للطقوس التي تسبقه وتتبعه، بدءا بالاستعداد المادي والنفسي لاستقباله، فطقوس تجهيز الميت

[21] -Levi-Provençal Evariste et Basset Henri, Chella, une nécropole mérinide. Dans ***<u>Hespéris Tamuda</u>*** , T. II, 4 éme trimestre, 1922, p. p. 1-92, 255-316, 385-425

وقد أنجز عثمان اسماعيل عثمان دراسة جديدة حول مقابر شالة: **حفائر شالة الإسلامية**، دار الثقافة، بيروت، 1978

[22] -GEOFFROY Eric, "La mort du saint en islam ", ***<u>revue de l'histoire des religions. T. 215</u>***. N. 1. 1998, p p. 17 – 34 ; et LAPIDUS, Ira. M. "The Meaning of Death in Islam" in***<u>: Facing Death, New Haven</u>***, Yale University Press, 1998 ; et Corinne Fortier, La mort vivante ou le corp intercesseur (société maure-islam malékite), ***<u>Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée</u>***, 113-114 | novembre 2006

[23] -الهلالي محمد ياسر، **موت الولي**، م. س، ونشير هنا إلى مساهمة سابقة لأحد الباحثين التونسيين في موضوع الموت عند الصوفية: MOQDAD Mensia, "La mort chez les soufis", ***<u>in IBLA</u>***, 1980, 2, No 146, pp. 205-242

[24] - مزين محمد، "الموت في مغرب القرن العاشر من خلال كتاب "الجواهر" للزياني"، ضمن، **<u>التاريخ وأدب النوازل، دراســـات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر</u>**، إنجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي، تنسيق، محمد المنصور؛ محمد المغراوي، مطبعة فضالة، ط. 1، المحمدية، 1995، ص ص. 101-117

[25] -القادري ابراهيم بوتشيش، الموت والتقاليد الجنائزية، ص. ص. 105. 110، ضمن كتاب: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين**؛ المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة، ط. 1، بيروت، 1993

[26] -المحمودي أحمد، **عامة المغرب الأقصى خلال العصر الموحدي**، دار رؤية، ط. 1، القاهرة، 2009، ص- ص. 120- 127

[27] -تيتاو حميد، **الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ/1212-1465م؛ إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية** ، مطبعة منشورات عكاظ، الدار البيضاء 2010، ص –ص. 309- 325

[28] -وهي في الأصل أطروحة دكتوراه مرقونة بكلية آداب الرباط، وطُبعت في كتابين، يهمنا منها: **حقي محمد، الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط**، ط. 1، مطبعة مانبال، بني ملال، 2007

ودفنه، ثم التأبين وما يترتب عليه من ممارسات خاصة كالحداد والمأتم والعزاء. ولم يفت الباحث أن يخصص قسما من دراسته للمدافن والمقابر التي حاول جردها ورصد التحولات التي طرأت عليها طيلة العصر الوسيط، إضافة إلى بعض الفقرات حول "الروابط" بين الأحياء والأموات من خلال زيارة القبور واللقاءات المنامية.

لا يختلف الأمر كثيرا في ما يخص البحث في تاريخ الموت بـــالأندلس، إذ كانت المبادرة من باحثين أوروبيين أو مستعربين، على شكل تعليقات قصيرة وهوامش مقتضبة ضمن مقالات ودراسات تناولت تاريخ الأندلس بصفة عامة، ونُشرت باللغتين الإسبانية والفرنسية29. أما ما كُتب باللغة العربية فيبقى نادرا، وبأقلام مشرقية اهتمت في الغالب بدراسة الموت من خلال طقوسه، محاوِلة البحث عن مدى انضباطها وامتثالها لتعاليم الإسلام، نذكر منها مقال لـــدندش عصمت حول طقوس الجنائز بالأندلس30، وهو عبارة عن دراسة وصفية لطقوس وعادات الموت عند مسلمي الأندلس، اعتمدت فيه الباحثة على مصادر متنوعة (أدبية، مناقبية، تاريخية، جغرافية...). ومقال حول عادات الموت عند الأندلسيين لأبي زيد سعيد، نحا فيه منحى "دندش"، محاولا كشف الأخطاء العقائدية، والتمييز بين العادات الشرعية والبدع الدخيلة على طقوس الموت عند الأندلسيين31. ومقال لـــمحمد اليعلاوي بحث فيه عن دلالات ورمزية ألوان الحداد على الميت بالأندلس32.

وعموما، فقد سلّطت هذه الدراسات الأضواء على جوانب وقضايا مهمة من موضوع جديد وشائك، ووفرت أرضية يمكن الاعتماد عليها – إلى جانب الإمكانيات التي يوفرها ما تبقى من الآثار المادية، والمصادر التاريخية والجغرافية وكتب النوازل والمناقب والآداب وغيرها– لمواصلة اكتشاف عالم ما بعد الموت وتمثله في ذهنية الأحياء، و"العلاقات" بينهم وبين الأموات، وتأثير هؤلاء على المجتمع. ذلك أن مواضيع الأموات والأشباح في ذهنية مغاربة العصر الوسيط، لم تحظ بعد بالدراسة والاهتمام الكافيين من طرف الباحثين المغاربة33؛ خاصة عند الأقليات الدينية اليهودية والمسيحية34 وبعض الفئات الاجتماعية المهمشة كالعبيد والمرتزقة.

---

[29] -نذكر منها على ســـبيل المثال: LAFUENTE, Alcántara, E., **Inscripciones árabes de Granada**, Madrid : Impr. Nacional, 1859 ; et Lévi-Provençal, E., **Inscriptions arabes d'Espagne**, Leiden ; Paris : Brill ; Larose, 1931

[30] -دندش عصمت، "من مظاهر الحياة الاجتماعية بالاندلس (طقوس الجنائز)"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط**، ع.19، 1994، ص. ص. 105- 122

[31] -أبو زيد سعيد، "عادات المسلمين الاندلسيين عند الموت"، **حولية التاريخ الإسلامي والوسيط**، مج. 4، 2005/2004، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة

[32] -اليعلاوي محمد، "الحداد على الميت بالأندلس، بالبياض أم بالسواد؟"، في، **مجلة دراسات أندلسية**، ع. 47، 2012م، المطبعة المغاربية، تونس، ص.ص. 9- 14

[33] -نستثني بعض الدراسات المحسوبة على فروع علمية مجاورة للتاريخ مثل: YACHOUTI Mohamed **, La Mort et son espace chez les Beni Drar,** thése de Doctorat, Paris V, 1988.

LAROUSSI Khalid **, contribution a une étude sur la mort en islam** , le cas d'une ville marocaine el Jadida. paris V. 1988

[34] -من بين الدراسـات النادرة المؤلّفة باللغة العربية أو المعربة التي عالجت الموضـوع عند يهود المغرب في العصرـ الوسـيط نذكر أعمال حاييم الزعفراني: **يهود المغرب والأندلس، جزآن**، ترجمة، أحمد شحلان، مرسم، الرباط، 2000 وغيرها؛ محمد لغرايب، "طقوس الموت عند اليهود"، ضمن**، منشـورات كلية الآداب بالقنيطرة، سلسـلة ندوات ومناظرات**، منشـورات عكاظ، الرباط، ، ص- ص. 2009، ص- ص. 43- 50؛ وأحمد شحلان، **اليهود المغاربة من منبت الأصــول الى رياح الفرقة، قراءة في الموروث والأحداث**، ط. 1، دار أبي رقراق

ثالثا: صعوبات وآفاق البحث في موضوع الموت بالمغرب الوسيط.

بعض صعوبات البحث في موضوع الموت

تكتنف النبش في موضوع الموت في العلوم الإنسانية والاجتماعية صعوبات كثيرة يرتبط بعضها بطبيعة الموضوع المدروس ذاته، فالموت مرعب ومخيف يخشاه الإنسان ولا يجرؤ على التفكير فيه ولو للحظات، فما بالك أن يجعل منه مجالا للبحث. كما تطرح شمولية الموت وغموض المصير بعده مشكلة التداخل بين الذات الدارسة والموضوع المدروس؛ التي تعد إحدى أعقد مشكلات العلوم الإنسانية والاجتماعية بصفة عامة35. وتتعلق بعض العوائق بطبيعة المادة المصدرية، إذ لانتوفر في المغرب على مصادر مباشرة تُمَكننا من كتابة تاريخ الموت على غرار ما هو عليه الحال في أوروبا، ويُنبه عدد من الباحثين إلى أن المقارنة بين المجالين لا تستقيم بفضل الإمكانيات المتنوعة التي تزخر بها مصادر أوروبا الوسيطية، من وثائق مكتوبة وشفوية وإقونوغرافية (Iconographie)36، والتي شجعت المؤرخين الأوروبيين المعاصرين على المغامرة في اقتحام الموضوع وسبر أغواره، كما تقدم.

على النقيض من ذلك، نفتقد إلى الوثائق المكتوبة حول سجلات الوفيات خاصة في حالات الوفيات الجماعية الناجمة عن الكوارث والحروب، إذ لا تذكر المصادر المغربية إلا أرقاما عامة تطرح أكثر من مشكلة على الباحث37. كما نفتقر إلى نصوص الوصايا التي تركها المغاربة والأندلسيون، وما نقلته لنا المصادر منها يتعلق في الغالب بوصايا بعض الفقهاء والمتصوفة والأمراء والسلاطين وعلية المجتمع. ويزيد من صعوبات البحث –خاصة خلال الفترة السابقة للعصر المريني– تلف وضياع بعض المصادر الوسيطية التي اهتمت بموضوع الموت بشكل مباشر، كما هو الحال بالنسبة لكتابي "الجنائز" لأبي عمر أحمد بن عفيف الغاسل (ت. 420هـــ/1029م) وَ" القبور" لأم هناء الغرناطية(القرن 6 هـــ)38.

للطباعة والنشر، الرباط، 2009. أما في ما يتعلق بمسيحيي المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، فلم نصادف من الدراسات سوى عملين تخللتها فقرات حول الموضوع: درويش هدى، **أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس؛ دراسة عن اليهود المارنواس، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية**، ط.1، القاهرة، 2008؛ وكتاب: **تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى**، ترجمة وتقديم، بديعة الخرازي، دار المعارف، ط. 1، الرباط، 2007

[35] -للمزيد من التفصيل في الموضوع يرجى مراجعة، قنصوه صلاح، **الموضوعية في العلوم الإنسانية؛ عرض نقدي لمناهج البحث**، دار التنوير، ط. 1، بيروت، 2007

[36] -يُقصد بها "مجموع الرسومات واللوحات التي تجسد مشاهد الموت كصور عودة الأموات أي نهوضهم من القبور في شكل مومياوات تتسلط على الأحياء وتختلط بهم وتنذرهم وتهجم عليهم، وصور رقصة الأموات التي تمثل خروج المومياوات من القبور"، حبيدة محمد، **كتابة التاريخ، قراءات وتأويلات**، ط. 1، دار أبي رقراق، الرباط، 2013، ص.ص. 52 53؛ حقي محمد، الموقف من الموت، م. س، ص. 4؛ و مزين محمد، م. س، ص.ص. 103. 104

[37] -حول بعض عوائق البحث في الديمغرافيا التاريخية بالمغرب يمكن العودة مثلا إلى: المنصوري عثمان، بعض قضايا البحث الديمغرافي في الفترة الحديثة : القرن 16 نموذجا، ضمن **مجلة كنانيش**، ع. 1، س. 1999، وجدة، ص. ص. 83 - 90

[38] -نقلا عن حقي محمد، الموقف من الموت، م. س، ص. 4

أما الآثار المادية الجنائزية التي لا تشكل سوى جزء من موضوع الموت، فإنها لم تنل نصيبها من الدرس والبحث، وحتى ما توفر من دراسات حول بعض القبور اقتصر، في الغالب، على تلك التي تعود إلى العصر القديم لأسباب إيديولوجية استعمارية، في حين لا تزال عدد من المدافن الوسيطية المتناثرة في أرجاء المغرب تنتظر نفض الغبار عنها من قبل الأركيولوجيين، وذلك ما يجعل الباحث وجها لوجه أمام روايات شفوية من الصعب الجزم بصحتها.

هذه الإكراهات تفرض الاعتماد على مصادر غير مباشرة مثل كتب التاريخ العام والجغرافيا والمناقب والآداب والنوازل، غير أن طبيعة ما يقدمه النوعان الأخيران يُحتم التعامل معهما بحذر، "فالشواهد الشعرية حيث يبحث الشاعر عن جمالية الصورة، ويتخطى في أحيان كثيرة الواقع"[39] لا تعكس بالضرورة موقفا جماعيا أو شعبيا من الموت ولا تعبر عنه. ويبقى ما تقدمه النوازل نسبيا[40] حيث يمكن أن تكون في كثير من الحالات مجرد افتراضات من السائل لا تعكس مسألة صادفها أفراد المجتمع. ناهيك عن مشكلة التوطين الزماني والمكاني؛ إذ تغيب في بعضها مؤشرات يمكن أن تعين على معرفة تاريخها. كما أن عددا منها لايشير إلى المكان الذي وقعت به.

آفاق البحث في موضوع الموت في المغرب الوسيط

بالرغم مما ذكرناه من صعوبات، فمن غير المقبول التذرع بشح المصادر لعدم معالجة الموضوع أو تبرير ندرة الدراسات حوله، إذ أن المتوفَّر من المصادر يسمح بالانفتاح عليه وطرق بعض قضاياه، ففي المغرب كما في الأندلس، تزخر المكتبات بمؤلفات حول الموت والعالم الأخروي[41]، منها على سبيل المثال كتاب محمد القرطبي "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة "[42]، وعبد الحق الإشبيلي " العاقبة في ذكر الموت"[43]. وهي مؤلفات قد تكشف عن بعض الاعتقادات الشعبية السائدة حول الموت، حتى وإن كانت تطلق العنان للخيال والأسطورة في رسم صورة مُرعِبة للعالم الآخر[44].

---

[39] -حقي محمد، م. س، ص. 5

[40] -حول حدود وضوابط توظيف النوازل يمكن العودة إلى: استيتو محمد، "النوازل و طبيعة مصادرها و حدود توظيفها في الكتابة التاريخية"، ضمن، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية-وجدة**، ع. 5، س. 2005، ص –ص. 127- 134

[41] -للمزيد من الإطلاع يمكن العودة إلى، يشوتي محمد، "خطاب الموت"، م. س

[42] -**التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، من تأليف الفقيه الأندلسي القرطبي محمد بن أحمد الخزرجي - المتوفي عام 671هـــ/ 1272 م، (صدر في طبعة جمعت ثلاثة أجزاء، تحقيق ودراسة الصادق بن محمد، مكتبة دار المنهاج، ط. 1، الرياض، 1425 هــ) ورغم غلبة طابع الوعظ على المؤلف، إلا أنه يساعد على فهم تصور فقهاء المغرب الأندلس العصر الوسيط للموت وما بعده، خاصة مواضيع الأرواح والأجساد والحياة البرزخية التي أسهب في وصفها، كما أنه سجل لنا بعض اللقاءات بين الأحياء والأموات في الأندلس على الخصوص.

[43] -**العاقبة في ذكر الموت**، من تأليف الإشبيلي عبد الحق، الفقيه المالكي المتوفي سنة 581 هــ/ 1186م، (ج. 1، تحقيق، خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، ط. 1، الكويت، 1986) وهو كتاب عن الموت وما بعد الموت وأحوال القبر والقيامة معززة بنصوص قرآنية وحديثية وشعرية، أدرج فيه أيضا كرامات الصحابة وبعض الصلحاء المشارقة بعد الموت.

[44] - على سبيل المثال يذكر القرطبي متحدثا عن ملك الموت أن رأسه في السماء ورجلاه في الأرض: القرطبي محمد، **التذكرة**، م. س، ص157؛ حول الموضوع ينظر أيضا، المليباري زين الدين، **الاستعداد للموت وسؤال القبر**، تحقيق وتصحيح سعد كريم الدرعي، دار ابن خلدون، الاسكندرية، د. ت، ص ص. 22- 30

وتقدم كتب الحسبة معطيات عن جملة من الظواهر المصاحبة للموت كالنياحة وبعض الممارسات أثناء زيارة القبور[45]. كما خصّصت بعض كتب النوازل فصولا للموضوع، فـــبَيَانُ ابن رشد يحتوى على فصل قصير بعنوان " كتاب الجنائز"[46]، وكذلك الشأن في مذاهب الحكام للقاضي عياض (ت. 544 هـــ/ 1149م) وولده محمد اللذين خصّصا بضع صفحات للموت ونوازله[47]، وفي نوازل البرزلي (ت. 841هـــ/ 1438م)[48]، ويحتوي معيار الونشريسي (توفي سنة 914 هـــ/ 1508م) على فصل بعنوان: "نوازل الجنائز"[49].

تُوفر هذه النوازل مادة غنية ومتنوعة وشاملة؛ فقد وصلت مؤلّفيها أسئلة عكست بعض القضايا التي طرحها الموضوع في بلاد المغرب، مثل أحكام الكفن، والغسل، والدفن، والصلاة على المنتحر، والشهيد، والبناء على القبور وآداب زيارتها. وانبنت أغلب الأجوبة على ما توفره النصوص القرآنية والحديثية التي حددت بدقة أحكام طقوس الموت وبعض العادات المتصلة بها[50]، كما استدعى الفقهاء اجتهادات من سبقهم لحسم الخلاف فيما استشكل عليهم، مما جعل الفتاوى التي أوردوها خلاصة لجهود فقهي طويل، بسطوا فيها آراء ومواقف فقهاء مختلف مراحل تاريخ المغرب والأندلس منذ القرون الإسلامية الأولى، كما حملت لنا صدى المناقشات والسجالات التي دارت بين الفقهاء والعلماء حول الموت والمصير الأخروي، واختزنت معلومات ثمينة حول الجنائز، والطقوس، والعادات المرتبطة بالموت ومصير الأرواح والأجساد بعد الموت، وحول زيارة القبور وآدابها، تساعد على فهم تمثل الفقهاء والعامة للموت وما بعد الموت[51].

---

[45] - يمكن العودة إلى: **ثلاث رسائل في الحسبة**، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955 و أبي زكرياء يحيى بن عمر الكناني الاندلسي(ت. 289 هـــ)، "أحكام السوق"، تحقيق محمود علي مكي، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج. 4**، ع. 1-2، مدريد، 1956. ص-ص. 59 -151.

[46] - ابن رشد أبي الوليد، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، تحقيق سعيد اعراب، دار الغرب الإسلامي، ط. 2، بيروت، 1988 فصل "كتاب الجنائز"، ج. 2، ص- ص. 203-302

[47] - القاضي عياض وولده محمد، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، ط. 2، بيروت، 1997 ، كتاب الجنائر، ص- ص. 307- 309

[48] - أعاد البرزلي طرح مسألة النياحة على الموتى: البرزلي أبو القاسم بن أحمد، **فتاوى البرزلي؛ جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا للمفتين والحكام**، ج. 4، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت، 2002، ص. 435

[49] -الونشريسي أبو العباس، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والمغرب**، ج. 1، أشرف على تحقيقه، محمد حجي، نشر وزارة الأوفاق والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1401 هـ/1981م، ص ص. 305 – 361

[50] - أجاز عدد من الفقهاء زيارة قبور الأقارب والأولياء وعارض بعضهم زخرفة القبور، واختلفوا في الصلاة على المنتحر، للاطلاع على آراء بعضهم يمكن العودة إلى الونشريسي، م. س، ج. 1، ص. ص. 305 – 361؛ وَ ابن رشد، البيان والتحصيل، م. س، ص.

[51] -رابحي رضوان، **عودة الموتى والقضايا الدينية والسياسية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط**، إشراف، عبد العزيز عينوز، بحث لاستكمال التكوين في سلك الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، الموسم الجامعي 2014/2013، مرقون، ص. ص. 34-37

تطرق الشعراء المغاربة والأندلسيون لمشكلة الموت في دواوينهم وأشعارهم، فظهرت في صور مختلفة ومتنوعة[52] تنوعَ الانتماءات الاجتماعية والاهتمامات الفكرية لمغاربة وأندلسيي العصر الوسيط. وتؤكد بعض الأبيات إيمان الشاعر بحتميتها باعتبارها قدرا لا مناص منه، فعلى سبيل المثال أنشد منذر بن سعيد الأندلسي (ت. 355هـ/ 966م) قائلا:

المَــــوْتُ حَوْض وَكُــلّنا نَرِدُ***لَــمْ يَنْجُو مِمّا يَخَافُـــهُ أَحَـــدُ

فَلاَ تَكُنْ مُغْرَمًا بِرِزْقِ غَدٍ***فَلَسْتَ تَدْرِي بِمَا يَجِيءُ غَدُ[53].

وقال أبو فارس عبد العزيز الملزوزي المكناسي(ت. 697هـ/ 1298م) في قصيدة رثاء طويلة:

سَهـــمُ المَنِيّة أيـــن منـــه فِـــرار***من في البريَّة مَن رجاه يُجار

حَكَم الزمان على الخلايق بالفنـا***فالــدار لايــبقــى بــهــا ديَّـــار

عِشْ مَا تَشَاءُ فإنّ غَايَتَكَ الرَّدَى***يَبْلَى الزّمَانُ وَتَذْهَبُ الأَعْمَارُ[54].

كما أوردت كتب الأمثال والأزجال[55] عددا من الأمثال الشعبية والأقوال المأثورة التي تقدم معلومات مهمة عن بعض الظواهر المرتبطة بالموت، ويُبرز أحدها الذي وثقه الزجالي القرطبي (توفي بمراكش عام 694 هـ/ 1294م)- "كَمْ مَن حَمّال على ذَا الميّت"[56] – التفاوتات والتمايزات الاجتماعية والثقافية بين الأموات بحسب مراكزهم في حيواتهم[57]، ويخلّد مثل أندلسي ظاهرة عدم القدرة على شراء الكفن: " فضول سود في خبير: مشات تعزي أبيعت في الاكفان"[58]. ويظهر من خلال مثل آخر تصنُّع البكاء مقابل الأجر منذ العصر الوسيط: "ليس ذا البكا على ذا الميت- لو عطيتني بضيع كان نبكي معاك دميع"[59]. كما يذكر الكفيف الزرهوني في أبيات زجلية وردت ضمن "مَلْعَبَتِهِ"، التي خلد فيها لحملة السلطان أبي الحسن المريني على إفريقية

[52] -تظهر الأندلس أكثر إنتاجا مقارنة مع المغرب الأقصى_ ومن بين الدواوين التي حضر_ فيها الموت بقوة نذكر: ابن خفاجة ابراهيم، **ديوان ابن خفاجة**، تحقيق عبد الله ستره، دار المعرفة، ط.1، بيروت، 2006؛ وابن شهيد الاندلسي، **رسالة التوابع والزوابع**، تحقيق بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ط. 1، 1967؛ وابن حزم علي الأندلسي، **طوق الحمامة في الألفة والآلاف**، تقديم البزم، مكتبة عرفة، دمشق، د. ت، ويورد محمد حقي بعض أشعارالموت عند بعض الشعراء والساسة والمتصوفة المغرب الأقصى: حقي محمد، **الموقف من الموت**، م. س، ص-ص. 8- 14

[53] - المقري أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، طبعة من ثمانية مجلدات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م، مج. 1، ص. 374

[54] - ابن الخطيب لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج. 4، شرحه وضبطه وقدم له، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت، 2003، ص.14.

[55] - من بين أبرز المؤلفات الزجلية بالأندلس نذكر: ابن قزمان محمد، (ت. 555هـ/ 1160م) **ديوان ابن قزمان**، إصابة الأغراض في ذكر الأعراض، تحقيق وتصدير، فيديريكو كورينتي، تقديم محمود علي مكي، ط. 1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995؛ وَ الزجالي القرطبي، **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق، محمد بن شريفة، جزآن، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، ط. 1، مطبعة محمد الخامس، فاس، 1975؛ وفي المغرب نذكر بالأخص: الزرهوني الكفيف، **ملعبة الكفيف الزرهوني**، تقديم وتعليق وتحقيق، محمد بن شريفة، المطبعة الملكية، الرباط، 1987

[56] -الزجالي القرطبي، م. س، ج. 2، ص. 256

[57] -كانت جنازات رجال السياسة والأعيان وبعض الفقهاء والمتصوفة تعرف حضورا مكثفا أثناء مراسيم التشييع، قد يصل إلى درجة التهافت على حمل نعوشها وتكسير أعوادها بالنسبة للمتصوفة والفقهاء خلال العصرين الوسيط والحديث على الأقل، على عكس جنازات العَوَام والناس العاديين التي يقتصر الحضور فيها على الأقارب والجيران.

[58] -الزجالي القرطبي، م. س، ج. 2، ص. 200

[59] - ن. م، ص. ص. 279و 287 و313

أواسط القرن الرابع عشر الميلادي (8هـ)، بعض الظواهر المرتبطة بالموت خلال المواجهات بين السلطان المريني وعرب إفريقية، مثل الموت الجماعي وقطع الرؤوس[60].

وتُقدم كتب المناقب[61] مادة دسمة عن الموت والعالم الأخروي، وتُسهب في وصف عالم ما بعد الموت ومصير الأجساد والأرواح، كما ترصد بعض الظواهر "الكراماتية" المرتبطة بالموت في التصوف المغربي كالتنبؤ به والاستعداد له. ورغم اتسام ما تحتويه هذه المصادر بطابعي الوعظ والإخبار، إلا أنها تساعد على فهم تصور متصوفة المغرب والأندلس لعالم ما بعد الموت. كما تُسجِّل بعض أشكال التواصل الرمزي بين الأحياء والأموات، والتي يظهر أنها اتخذت شكلين رئيسين[62]: زيارة الأحياء للأموات، وتجسده زيارة قبور الأقارب، والأولياء، والملوك الأموات[63]؛ وزيارة الأموات للأحياء، تمثله عودة الأموات من الأقارب، وبعض أبطال الأساطير القديمة، والأنبياء، وبعض الصحابة؛ للتواصل مع الأحياء عبر الرؤى واللقاءات المنامية[64].

لقد كان من الطبيعي أن يحظى موضوع الموت والقضايا التي يثيرها بعناية الفلاسفة المسلمين. ومن بين أبرز من اهتم بالموضوع الكِندي (ت. 256 هـ/ 873م) في رسالته حول دفع الأحزان[65]، والفارابي (ت. 339هـ/ 950م) في "فصول منتزعة"[66]، وابن مسكويه (ت. 421 هـ/ 1030 م) في رسالته حول الخوف من الموت[67]، وابن سينا (ت. 428 هـ/ 1037م) في رسالته حول أحوال النفس[68]. ويظهر أنهم مُتفقون على كونها انفصالا بين الروح والجسد، رغم اختلافهم حول

---

[60] -الزرهوني الكفيف، م. س، ص. ص. 80 و 132

[61] -نذكر منها: التادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط. 2، الدار البيضاء، 1997؛ وصدفي طاهر، **السر المصون في ما أكرم به المخلصون**، تحقيق، حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998؛ والبادسي عبد الحق، **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، ط.2، الرباط، 1993. يمكن العودة إلى مقال **الهلالي محمد ياسر** ، م. س

[62] -يتضح من خلال بعض الدراسات الأوروبية أن التواصل بين الأحياء والاموات في ذهنية بعض المجتمعات الأوروبية في العصور الوسطى كان يتم بطرق مشابهة لما كان عند المسلمين، عبر زيارة الأحياء للقبور وعن طريق المنامات و"الموتى العائدين"

SCHMITT Jean-claude, **Les Revenants; Les vivants et les morts dans La société médiévale**, Editions Gallimard, 1994. P. 13 ; et DELUMEAU Jean , **La Peur en Occident. XIV e- XVII e siècles**, Fayard, Paris, 1978, P. 75

[63] -حول تقديس قبور السلاطين، يذكر ابن مرزوق أن مقابر المرينيين بشالا كانت موضع بركة ومقصودة بالزيارة، التلمساني ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق، ماريا خيسوي بيغيرا، تقديم محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 124

[64] -يحتل موضوع رؤية الخضر مساحة مهمة في كتب المناقب، يُنظر مثلا: البادسي عبد الحق، م.س، ص ص. 81 – 93؛ ويلاحظ أيضا حضوره القوي في، السر المصون، م.س، وحول الموضوع يمكن العودة إلى

FERHAT Halima," Réflexions sur al-Khadir au Maghreb médiéval: ses apparitions et ses fonctions", in Le Maghreb aux XII eme et XIII eme siècles: les siècles de la foi, Wallada , Casablanca, 1993, pp. 41-50؛ للمزيد من التفصيل في الموضوع يمكن العودة إلى: رابحي رضوان، **عودة الموتى**، م. س. ص- ص. 59- 78

[65] -الكندي يعقوب، **من رسائل الكندي**، تقديم وتعليق، محمد بن جماعة، ط. 1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2006

[66] - الفارابي أبو نصر، **فصول منتزعة**، تحقيق فوزي متري النجار، ط. 2، المكتبة الزهراء، إيران، 1405 هـ/ 1984م ، ص. ص. 85- 88

[67] -ابن مسكويه أحمد، **رسالة في الخوف من الموت**، تقديم وتعليق، علي محمد إسبر، دار بدايات، ط. 1، دمشق،2007

[68] -ابن سينا أبو علي، **أحوال النفس؛ رسالة في النفس وبقائها ومعادها**، تحقيق ودراسة أحمد فؤاد الأهواني، دار بيبليون، باريس. 2007

مصير الأجساد والأرواح بعد الموت[69]. ومن الواضح أن هؤلاء كانوا يهدفون إلى التخفيف من الصورة المرعبة التي يظهر عليها الموت في بعض كتب الفقه والمناقب.

واهتمت كتب الجغرافيا والرحلات بالموضوع، وقدمت أوصافا ومعلومات تساعدنا على تفكيك وتفسير عدد من الممارسات والاعتقادات المرتبطة بالموت، فالبكري (ت. 487هـــ/ 1094م) يذكر بعض الظواهر التي عرفتها بعض مناطق بلاد المغرب مثل ظاهرة الرقّادة في غمارة[70]، كما يأتي على وصف أشكال من التّمثيل بالجثث بين الخصوم السياسيين في مرحلة تميزت باشتداد الصراع على السلطة[71]، ويحضر نفس الموضوع بقوة في رحلة "الاستبصار"[72]. أما الشريف الإدريسي الذي ألف نزهته عام 564هـــ/ 1169م، فقد ذكر استمرار ظاهرة زيارة قبور السلاطين والملوك، مثلما هو الحال بالنسبة لقبر ابن تومرت الذي جعل منه المصامدة حجا[73]، إلى جانب إشارته إلى بعض الظواهر التي لاحظها في بعض مناطق أسيا مثل إحراق الموتى[74].

لم تقتصر هذه الظواهر على عصر الموحدين ومن سبقهم من دول وإمارات، بل استمرت خلال العصرين المريني والوطاسي، إذ يصف العبدري في رحلته التي ابتدأها عام 668هـــ/ 1289م بعض القبور والأضرحة التي زارها في المغرب، ولاحظ أنها كانت قبلة لزيارات كثيفة بحثا عن الشفاعة والبركة، إلى جانب الحضور القوي لتيمة الموت في الأشعار التي أوردها[75]. كما يأتي ابن بطوطة الذي ابتدأ رحلته عام 725 هـــ/ 1325م على ذكر بعض كرامات المتصوفة المرتبطة بالموت، مثل التنبؤ به ورؤية الأحياء للأموات عن طريق الرؤى والمنامات، ويوثق بعض نقوش القبور التي زارها بالمشرق[76]، إلى جانب وصفه لعادات أهل الهند في الموت[77]. أما الوزّان (كان حيا سنة 1550م) الذي زار بلدانا عديدة، فإنه يقدم وصفا دقيقا لعادات الموت في المغرب، مُعرّجا على بعض الظواهر المنتشرة بين العامّة كالندب والبكاء على الموتى[78]، كما يَسْرُد تفاصيل بعض

---

[69] -رابحي رضوان، **عودة الموتى**، م. س، ص. 36

[70] -البكري أبو عبيد، **المسالك والممالك؛ الجزء الخاص ببلاد المغرب**، تحقيق زينب الهكاري، مراجعة، محمد لغرايب، تقديم ، أحمد عزاوي، مطابع ربا نيت، الرباط ،2012، ص. 203

[71] -ن. م، ص. 241

[72] -مجهول (مراكشي عاش خلال القرن 6 هـ/ 12م)، **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدين ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، طباعة ونشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د. ت، ص. ص. 192. 205. 206.

[73] -الإدريسي الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، طبعة من مجلدين، تحقيق مجموعة من الباحثين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص. 230

[74] -ن. م، ص. ص. 189. 190

[75] - العبدري البلنسي محمد، **الرحلة المغربية**، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، مطبعة المعارف، ط. 1، عنابة، 2007

[76] -ابن بطوطة شمس الدين، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تقديم وتحقيق، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه، عبد الهادي التازي، طبعة في ست (6) مجلدات، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، مج. 1، ص. ص. 132 و 186 و 187 و243؛ وَ مج. 2، ص. ص. 14- 15

[77] -ن. م. مج. 5، ص-ص 243- 244

[78] -الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، ج. 1، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي؛ محمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والتأليف والنشر، دار الغرب الإسلامي، ط. 2، بيروت، 1983، ص. 258

العادات المتبعة أثناء زيارة قبور الأولياء79. ويذكر كربخال (ت. 1600م) Marmol KARVAJAL بعض الممارسات المصاحبة للموت خاصة تقديس قبور الخلفاء الموحدين الأوائل80.

لا يقل ما تجُود به كتب التاريخ العام أهمية عن سابقاتها، فهي تذكر في معرض سردها لأحداث التاريخ السياسي والعسكري، بعض أسباب الموت في المغرب، وتَصِف مظاهر الموت الجماعي أثناء الحروب والأزمات والكوارث الطبيعية81. كما تورد في ثناياها بعض أشكال توظيف الأموات في عالم الأحياء، والتي اتخذت شكلين رئيسيين؛ تَمَثَّلَ أولهما في التمثيل بجثث الأموات من المعارضين والطامعين في السلطة، بغرض ترهيب الأحياء وإخضاعهم، والتي يظهر أنها كانت عادة متبعة طيلة العصر الوسيط82، أما الثاني فقد عكسته "ظاهرة" إعادة اكتشاف الجثث، أو إخراجها من قبرها، و"تكريمها" وتوظيفها في المجال السياسي، كما هو الحال بالنسبة لجثث الأدارسة عصر بني مرين83. كما تذكُر بعضها روايات عن اللقاءات "الكراماتية" بين الأحياء، والأولياء والأنبياء والصحابة الأموات84. وتُورد أخرى نصوص العبارات الشعرية التي كان بعض السلاطين والشعراء والمثقفون يَطْلُبون كتابتها على شواهد قبورهم85، مما يسهم في تغطية النقص في الآثار الجنائزية المادية. ويساعد على فهم تصور هؤلاء للموت وللمصير بعده، إذ تعكس الرغبة في البقاء في ذاكرة الناس، وتجسد " نوعا من الحضور بين أولئك الذين افتقدوه والذين فرّقت الموت بينه وبينهم"86.

---

[79] -يقدم **الوزّان** وصفا لزيارة الفاسيين لضريح أبي يعزى قائلا: " فيخرج أهل فاس لزيارة هذا الضريح بعد عيد الفطر من كل سنة، ويخرجون في جموع كثيرة رجالا ونساء وأطفالا، وكأنهم جيش زاحف..." م. س، ص. 205

[80] - كربخال مرمول، **إفريقيا**، ج. 2، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 1988-1989 ص. 45

[81] - خُصّ هذا الموضوع بدراسة جديدة لعبد الهادي البياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6-8هـــ / 12-14م)**، ط. 1، دار الطليعة، بيروت، 2008؛ وحول انعكاسات الحرب على المجتمع خلال العصر المريني يمكن العودة إلى: تيتاو حميد، **الحرب والمجتمع، م. س**

[82] - تعج المصادر التاريخية المغربية بروايات حول التمثيل بالجثث؛ نذكر منها على سبيل المثال: المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط. 2، بيروت، 2005 ص. 234؛ والمراكشي ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب؛ قسم الموحدين**، تحقيق، محمد بن ابراهيم الكتاني؛ محمد بن تاويت؛ محمد زنيبر؛ عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي ط. 1، بيروت، 1985 ص. ص. 290.289؛ وَمجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص. ص. 165. 166؛ وَ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط. 2، الرباط، 1420هـ/ 1999م، ص.498؛ وَ المراكشي عبد الواحد، م. س، ص. 234

[83] - حول اكتشاف قبر إدريس الأول ينظر، الجزنائي ، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق، عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، ط. 2، الرباط، 1991، ص. 15، ويمكن العودة حول الموضوع إلى: HERMAN BECK Leonard**, l'image d'Idriss II, ses descendants de Fas et la politique sharifienne des sultans marinides (656-869/1258-1465)**, Collection, Asfar, v. 3, traduction, Nambot. A. M, Editions, J. brill, leiden, 1989

[84] - تورد بعض مصادر التاريخ العام نماذج من هذه اللقاءات؛ يمكن العودة على سبيل المثال إلى: ابن القوطية أبي بكر، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط. 2، القاهرة، 1989، ص. 34؛ وَالمراكشي ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج.1، تحقيق ومراجعة، كولان وبروفنصال، دار الثقافة، ط. 3، بيروت، 1983، ص. 27؛ والناصري أحمد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تسعة أجزاء، تحقيق، الناصري جعفر، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج. 4، ص. 122

[85] - ابن الخطيب لسان الدين، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق، لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط. 3، بيروت، 1980

[86] - بل الفايدة عبد العزيز، **صورة الموت**، م. س، ص. 11

تسمح المصادر المغربية والأندلسية المتنوعة بالوقوف على بعض ملامح صورة الموت في المغرب، ويظهر أنها حملت معان متناقضة ومختلفة اختلاف الانتماءات الاجتماعية والسياسية، وارتبطت بمدى رسوخ المعتقدات الدينية. وتكشف لنا عن وجود علاقة وطيدة بين المغاربة وقبور الموتى، كمؤشر على استمرار العلاقة الروحية بين الأحياء والأموات87 منذ فترة ماقبل الإسلام88.

خــــــاتمة

يتضح إذن، من خلال هذه الإطلالة السريعة على الإمكانيات التي توفرها المصادر المغربية والأندلسية، أن الموت قد ارتبط أشد الارتباط بقضايا المجتمع المغربي، فقد وظف أحياء المغرب الموت والأموات في مواضيع متنوعة تنوع مشكلات المجتمع المغربي، لدرجة تُمكّننا من القول بأن الموتى كانوا "دائمي الحضور" في مخيلات الأحياء.

ورغم ما أُنجِز من أعمال حول تاريخ الموت في بلادنا، إلا أنها لا تزال في بدايتها، خاصة في ظل تشتت جهود الباحثين الذين عالجوا الموضوع من زوايا ومنظورات منهجية أحادية، في الوقت الذي يحتاج فيه موضوع الموت كموضوع لتاريخ العقليات إلى اعتماد الأمد الطويل، وإلى مقاربات توظّف فيها مناهج مختلفة.

وقصارى القول، إن النبش في المصادر المتنوعة واستغلال ما تبقى من الآثار المادية، باعتماد مقاربة متعددة المناهج، كفيل بإعادة بناء وتركيب صورة الموت في تمثل مغاربة العصر الوسيط، خاصة عند الأقليات الدينية اليهودية والمسيحية، وعند الفئات المهمشة من المجتمع كالعبيد والمرتزقة من السود والأتراك والروم التي تنتظر نصيبها من الدرس والبحث.

المصادر العربية والمعربة

- ابن أبي زرع علي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط. 2، الرباط، 1420هـ/ 1999م
- ابن الخطيب لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج. 4، شرحه وضبطه وقدم له، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت، 2003

[87] الهلالي محمد ياسر، **موت الولي**، م. س، ص. 401

[88] MONTET Edouard, **Le culte des saints dans l'Afrique du Nord et spécialement au Maroc**, Libraires de l'Université, Genève, 1909, p. 9

- ابن حزم الأندلسي، **طوق الحمامة في الألفة والآلاف**، تقديم البزم، مكتبة عرفة، دمشق، د. ت
- ابن رشد أبي الوليد، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، تحقيق سعيد اعراب، دار الغرب الإسلامي، ط. 2، بيروت، 1988
- ابن شهيد الاندلسي، **رسالة التوابع والزوابع**، تحقيق بطرس البستاني، ط. 1، دار صادر، بيروت، 1967
- ابن مسكويه أحمد، **رسالة في الخوف من الموت**، تقديم وتعليق، علي محمد إسبر، دار بدايات، ط. 1، دمشق،2007
- أبو زكرياء يحي الاندلسي(ت. 289 هـــ)، "أحكام السوق"، تحقيق محمود علي مكي، ضمن، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج. 4، ع. 1-2، مدريد، 1965
- الإدريسي الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، طبعة من مجلدين، تحقيق مجموعة من الباحثين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002
- الإشبيلي عبد الحق، **العاقبة في ذكر الموت**، ج. 1، تحقيق، خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، ط. 1، الكويت، 1986
- البادسي عبد الحق، **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، ط.2، الرباط، 1993
- البرزلي أبو القاسم بن أحمد التونسي، **فتاوى البرزلي؛ جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا للمفتين والحكام**، ج. 4، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت، 2002
- التادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط. 2، الدار البيضاء، 1997
- التلمساني ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق، ماريا خيسوي بيغيرا، تقديم محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981
- **ثلاث رسائل في الحسبة**، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955
- الزجالي القرطبي، **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق، محمد بن شريفة، جزآن، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، ط. 1، مطبعة محمد الخامس، فاس، 1975

- صدفي طاهر، **السر المصون في ما أكرم به المخلصون**، تحقيق، حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998
- القاضي عياض وولده محمد، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، ط. 2، بيروت، 1997
- القرطبي محمد، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، ثلاثة أجزاء مجموعة، تحقيق ودراسة الصادق بن محمد، مكتبة دار المنهاج، ط. 1، الرياض، 1425 هـ
- كربخال مرمول، **إفريقيا**، ج. 2، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 1988-1989
- المراكشي ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج.1، تحقيق ومراجعة، كولان وبروفنصال، دار الثقافة، ط. 3، بيروت، 1983
- المراكشي ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب؛ قسم الموحدين**، تحقيق، محمد بن ابراهيم الكتاني؛ محمد بن تاويت؛ محمد زنيبر؛ عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي ط. 1، بيروت، 1985
- المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط. 2، بيروت، 2005
- المقري أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، طبعة من ثمانية مجلدات، مج. 1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م
- مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدين ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، طباعة ونشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د. ت
- مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010
- الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، ج. 1، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي؛ محمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للترجمة والتأليف والنشر، دار الغرب الإسلامي، ط. 2، بيروت، 1983
- الونشريسي أبو العباس، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والمغرب**، ج. 1، أشرف على تحقيقه، محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1401 هـ/1981م

المراجع والدراسات العربية والمعربة

- أبو زيد سعيد، "عادات المسلمين الاندلسيين عند الموت"، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، مج. 4، 2005/2004، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص. ص. 51 - 114
- اصتيفان اكصيل، **تاريخ شمال إفريقيا القديم**، ج. 6، الممالك الأهلية حياتها المادية والفكرية والروحية، ترجمه إلى العربية، محمد التازي سعود، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 2007
- أعشي مصطفى، "القبور في المغرب القديم"، معلمة المغرب، ج. 19، إشراف، محمد حجي، مطابع سلا، 2004، ص. ص. 6601 - 6603
- أوسوس محمد، **دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2007
- بل الفايدة عبد العزيز،" صورة الموت من خلال النقائش اللاتينية"، ضمن مجلة كلية الآداب القنيطرة ، ع. 8، السنة، 2008، ص- ص.7 – 16
- الجطاري بلقاسم، "الطقوس الجنائزية في التراث الامازيغي"، ضمن، حفريات مغربية، ع 1، 2001، ص ص. 45 – 57
- حبيدة محمد، **كتابة التاريخ، قراءات وتأويلات**، ط. 1، دار أبي رقراق، الرباط، 2013
- حقي محمد، **الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط**، ط. 1، مطبعة مانبال، بني ملال، 2007
- دندش عصمت، "من مظاهر الحياة الاجتماعية بالاندلس (طقوس الجنائز)"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ع.19، 1994، ص ص. 105- 122
- دوغلاس ديفيس، **الوجيز في الموت**، ترجمة، الهاشمي محمود، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، 2014
- رابحي رضوان، **عودة الموتى والقضايا الدينية والسياسية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط**، إشراف، عبد العزيز عينوز، بحث لاستكمال التكوين في سلك الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، الموسم الجامعي 2014/2013، مرقون
- ريكور بول، **الذاكرة، التاريخ، النسيان**، ترجمة، جورج زيناتي، ط. 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009
- الزعفراني حاييم، **يهود المغرب والأندلس**، جزآن، ترجمة، أحمد شحلان، مرسم، الرباط، 2000

- شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ج. 1، تعريب، مزالي محمد، البشير سلامة، طبعة مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011
- شورون جاك، **الموت في الفكر الغربي**، ترجمة، كامل يوسف حسين، منشورات عالم الفكر، ع. 76، الكويت، 1984
- غابرييل غامبس، **البربر: ذاكرة وهوية**، ترجمة محمد حزل، ط. 1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014
- القادري ابراهيم بودشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين؛ المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة، ط. 1، بيروت، 1993
- لويس – فانسان توماس، **الموت**، ترجمة مروان بطش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط. 1، بيروت، 2012
- مبروك أمل، **فلسفة الموت**، دار التنوير للطباعة والنشر، ط. 1، بيروت، 2010
- مجموعة من المؤلفين، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، إشراف وتقديم، القبلي محمد، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، ط. 1، الرباط، 2011
- مزين محمد، "الموت في مغرب القرن العاشر من خلال كتاب "الجواهر" للزياني"، ضمن، التاريخ وأدب النوازل، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، إنجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي، تنسيق، محمد المنصور؛ محمد المغراوي، مطبعة فضالة، ط. 1، المحمدية، 1995، ص ص. 101-117
- الهلالي محمد ياسر، "موت الولي في كتب المناقب بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط (من ق6هـ/12م إلى القرن 9هـ /15م"، مجلة المناهل، السنة 32، ع. 31-32، منشورات وزارة الثقافة المغربية، أبريل 2012، مطبعة دار المناهل، الرباط
- يشوتي محمد، "خطاب الموت"، مجلة علامات، ع. 15، مكناس، 2001

المراجع باللغة الفرنسية

- DELUMEAU Jean, **La Peur en Occident** , **XIV e– XVII e siècles**, Fayard, Paris, 1978
- FERHAT Halima," Réflexions sur al-Khadir au Maghreb médiéval: ses apparitions et ses fonctions", in *Le Maghreb aux XII eme et XIII eme siècles: les siècles de la foi, Wallada* , Casablanca, 1993
- GEOFFROY Eric, "La mort du saint en islam ", *revue de l'histoire des religions*. T. 215. N. 1. 1998, p p. 17 – 34
- HERMAN BECK Leonard, **l'image d'Idriss II**, **ses descendants de Fas et la politique sharifienne des sultans marinides** (656-869/1258-1465), Collection, Asfar, v. 3, traduction, Nambot. A. M, Editions, J. brill, leiden, 1989
- MONTET Edouard, **Le culte des saints dans l'Afrique du Nord et spécialement au Maroc**, Libraires de l'Université, Genève, 1909
- SCHMITT Jean-claude, **Les Revenants; Les vivants et les morts dans La société médiévale**, Editions Gallimard, 1994
- VOLANT Éric, Bibliographie sur la mort Ouvrages généraux et classiques, in encyclopédie de la mort, en ligne sur: http://agora.qc.ca/thematiques/mort/dossiers/bibliographie_sur_la_mort. consulté le 15/06/2015